(٣٠) الأمل في نهضة الأمة

(بعض التجارب الإسلامية المعاصرة التي اهتمت بالعلم)

د. راغب:

تحدثنا عن بعض الأوضاع الغير مقبولة في الأمة الإسلامية من حالة التخلف العلمي الكبيرة والتناقص الشديد في براءات الاختراع بالقياس لدول العالم، وبدأنا نبحث في أسباب هذه الظاهرة وقلنا أنه أهم هذه الأسباب هي غياب القضية عن أذهان الملتزمين والمتمسكين بهذا الدين وما عرفوا أن الاهتمام بقضية العلم الحياتي في علوم الطب والهندسة والفلك وغيرهم من ألزم واجبات الدين وهو داخل في إطار العلم النافع الذي حضَّ عليه الشرع الحكيم ونبهنا إليه حبيبنا صلى الله عليه وسلم.

وذكرنا مشكلة أخرى تقع على عاتق الدولة التي لم تتبنى هذه القضايا ولم تضع قضية العلم في أولوياتها ووجهنا نداءًا لكل حكام العالم الإسلامي ليضعوا قضية العلم في أولويات الأمة الإسلامية، وذكرنا كذلك دور الأغنياء الذين لا بد أن يكفلوا طلاب العلم بشقيهم، طلاب العلم الشرعي وطلاب العلم الحياتي وأن هذا من ألزم الأدوار على أغنياء الأمة الإسلامية.

وعشنا آلام كثيرة وتكلمنا عن أرقام مفزعة، لكن في نفس الوقت رأينا بعض النماذج الإيجابية سواء في العالم الإسلامي الآن أو في تاريخ الأمة الإسلامية، ونحاول من هذه النماذج الإيجابية أن ندفع المسلمين دفعة أمل إلى الأمام وفي نفس الوقت ومن باطن هذه الآلام نأخذ بالحلول التي تعالج هذه الآلام الكثيرة للأمة الإسلامية.

د. صلاح:

نضيف إلى التجربة التي ذكرناها عن الوقفية في المملكة العربية السعودية للنبغاء في العلوم الكونية والحياتية، هذا التقدم الهائل والنقلة النوعية التي حدثت في ماليزيا.

محمد مهاتير أتى إلى البلد وكانت في تراجع هائل، فكان أول ما تبناه هو المنح الدراسية للطلاب النبغاء في ماليزيا، وكان هؤلاء الطلاب يتم توصيتهم التوصية الشديدة بأنهم سيذهبون لتمثيل بلدهم وإسلامهم، وانبثوا في الجامعات الأوربية والأمريكية واليابانية ثم عادوا مرة أخرى إلى بلادهم، وأثروا المصانع والهيئات والشركات، والدولة سَهَلت لهم فتح المؤسسات الضخمة، وانتقل الاقتصاد الماليزي نقلة نوعية كبيرة وأصبحت من الدول العشرة الأوائل المصدرة في العالم.

د. راغب:

كنت في زيارة لماليزيا وكنت أشعر بمنتهى الفخر وأنا أسير في شوارع كوالالمبور وأرى كبرى شركات العالم تتسابق لتجد لها مكانًا في هذه البلد، وخاصة أنهم أنشأوا مدينة علمية تعتبر من أكبر المدن العلمية في العالم وهي مدينة إلكترونية بها جميع الشركات

الإلكترونية والعلمية مجمعة في مكان واحد، ووصلت إلى نهضة حقيقية وضعت ماليزيا وضعتها في صدارة العالم وهي من الأمة الإسلامية.

د. صلاح:

وترى حاكم واحد استطاع أن ينهض هذه النهضة ويعز أمته ويترك الكرسي اختيارًا، فهذا الحاكم لا يزال العالم الإسلامي كله بل والغرب يحترمه بشكل كبير، لأنه أحدث نهضة نوعية غير عادية، وهذا يوضح أن الإمكانية موجودة مهما كان وضع التخلف في عالمنا العربي والإسلامي، فنحن نستطيع أن نصنع العلماء النبغاء الذين يعيدون للأمة الإسلامية مكانتها وقوتها، والعالَم لا يحترم إلا القوي وخاصة في الجانب العلمي.

د. راغب:

مثال آخر من الأمثلة اللامعة في السنوات الأخيرة، وهي تركيا، الآن بها نهضة في كل المجالات وليس في مجال السياسة فقط بل في كل المجالات والاهتمام بشكل كبير بقضايا المسلمين في العالم، نهضتهم ليست في المجال السياسي إنما في المجال العلمي والاقتصادي والحياتي والاجتماعي.

وأذكر حضرت حفل كبير لإخوة أتراك بسبب إنشاء أول مجلة تركية باللغة العربية منذ أيام أتاتورك، واسمها مجلة (حراء) ولديهم أيضا قناة فضائية باللغة العربية، ومدارس باللغة العربية.

فهؤلاء الذين فهموا الدين حق الفهم، عرفوا أن اللغة العربية هي لغة القرآن وليست لغة قوم من الأقوام وهي لغة أهل الجنة وهذه اللغة التي اختارها ربنا عز وجل، فإذا بهم ينشرون العلوم بها بدون أي نوع من الحساسية وينشرون العلوم في وسط آسيا حتى في مصر بها الآن مدرسة تركية على مستوى راقٍ وهي نموذج من المدارس القيمة.

وأستاذنا عبد الحليم عويس، غني عن التعريف وهو من كبار الأساتذة المؤثرين، حكى لي عن زيارته للعلاج في تركيا وكانت على مستوى طبي متميز، ويقول أنها على هذه المستشفى على أرقى مستوى يُقارِن ويُضارِع المستشفيات الغربية ولاقى فضيلته العلاج في هذه المستشفى ولمس بنفسه هذا المستوى.

إذًا الحمد لله هناك أمل وأمثلة طيبة، وحتى في مجال الاقتصاد ذكرنا مثال الوقفية التي تقدمت بها السعودية للاختراع والعلوم، وأذكر لكم تجربة جميلة في الأوقاف وهي تجربة الصناديق الوقفية في الكويت، وهي صناديق وقفية يشارك فيها عامة الناس، فمن لديه مبلغ من المال ولا يستطيع أن يقيم وقفية به فأقاموا نظام بما يسمى بالأسهم الوقفية، ومن هذه الوقفيات ما أوقف لطلبة العلم لكفالتهم في الدول المختلفة.

كذلك هناك تجربة لبنان، رأينا في لبنان نهضة ملموسة وبها إنجازات كثيرة، وأذكر مثال من الأمثلة الجميلة التي حدثت هناك.

أقامت لبنان مسابقة اختراعات على مستوى العالم للشباب دون سن العشرين، وكانت بين مدارس الثانوية وتقدم لهذه المسابقة شباب من كل دول العالم وكان الاختراع الأول على هذه الاختراعات هو الذي قُدِمَ من مدرسة لبنانية إسلامية وهي من المدارس التي تبغي الخير والصلاح بنية واضحة، وزرت هذه المدرسة وهي مدارس (الإيمان)، والفريق العلمي بها اخترع جهازًا لخدمة من فقد نعمة البصر في استخدام الكمبيوتر بطريقة ما، وكان التحكيم بالمسابقة في أمريكا كي لا يقال أنه كان هناك نوع من التدليس، ودخل في المسابقة أمريكيون ويابانيون وأوربيون وفاز اللبناني الإسلامي بالمركز الأول، فكان فخر لا أقول فخر للبنان لكن فخر لكل المسلمين.

د. صلاح:

نحن إذا ردنا أن ننهض بالفعل سيعيننا الله سبحانه وتعالى {وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البقرة:٢٨٢]، وهذه الآية لا بد أن يقف أمامها طلاب العلم والآباء والأمهات، فالأمل ليس مفقودًا.

وأقول لطلاب العلم النبغاء لا تستسلموا للفقر أو اليتم أو القهر أو لأي شيء يُحَجِّم القوة العلمية التي أعطاك الله تبارك وتعالى إياها.

بل أذهب في هذه المسألة، وأدعو الله أن يغفر لي أن كان اجتهادي خاطئًا، ونحن نجتهد لله سبحانه وتعالى فالمصيب له أجران والمخطئ له وأتمنى أن يكون لنا أجر أن شاء الله.

أرى أن عدم إنفاق الوقت لدى النبغاء في البحث العلمي، والتفوق والاستمرار في الماجستير والدكتوراه، هو كمن يبخل عن إخراج زكاة ماله، فالمال قيمة وكذلك القدرات الموجودة لدى الناس هي قيمة أيضا، ولذلك أقول زكاة القدرات لا تقل عن زكاة الأموال، فالإنسان الذي لديه طاقة علمية أن يبتكر للأمة الإسلامية لكن يختار أن يعيش شعور الضحية ويذهب ليعبث ويسهر أمام البرامج الفضائية الهابطة ويضيع هذه القدرة التي أعطاه الله إياهما، هو كمن أعطاه الله المال ثم أسرف وبذَّرَ ولا ينفق الزكاوات التي تستفيد منها الأمة الإسلامية والفقراء والمساكين وما إلى ذلك.

أحيانًا تكفي قدرة أو مهارة واحدة، كما تكلمنا عن محمد مهاتير أو أردوغان أو التجربة اللبنانية وغيرها، فإن شخص إداري واحد يستطيع أن يوظف طاقات آلاف من الناس ومليارات من الأموال توظيفًا صحيحًا، فهذا الشخص الإداري المتميز أدى زكاة القدرة الإدارية ولم يتمحور حول نفسه.

نريد هذا الإحياء وهذه الزكاة للقدرات والمهارات التي رزقنا الله سبحانه وتعالى إياها، وبلادنا بها من الخير الكثير، ونحن مؤهلون لذلك.

أذكر لكم موقفًا، أكرمني الله تعالى في إحدى الزيارات إلى رومانيا وكنت أركب القطار من بوخارست من ثلاثة إخوة مسلمين، وركب معنا شخص روماني في الغرفة وجلس بجواري، وبدأ الإخوة يخرجون الطعام والشراب فقلت لهم أعطوا فهذا يعتبر مثل الجار بالجنب، فأعطوه لكن الرجل استغرب وقال أنه لو مكاننا لن يعطينا شيء، فقلنا له القرآن به آية توصينا بك وقرأنا له الآية: {وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} [النساء:٣٦]

وهو كل من جاورك ولو ساعة من نهار، فتعجب وقال: لم نسمع عن الإسلام هذا، لا نسمع عنه إلا سفك ودم وتخلف ورجعية، ثم تبين أنه أستاذ في جامعة وتخصصه في الجسور المعلقة، وبدأنا نكلمه عن الإسلام وندعوه إليه، وقال: أن كان الإسلام أن بهذا الشكل فهو شيء طيب لكن لا أستطيع أن أدخل الإسلام لأنني منذ أن ولدت وأنا لا أشرب الماء وإنما أشرب الخمر، والخمر عندكم حرام.

وما كان يظهر عليه أنه بصحة جيدة فكان لا يجب أن نتكلم عن ضرر الخمر له ولكن دخلت إليه من مدخل آخر، بل ألهمني الله لذلك، الإسلام يحترم عقلك لا يغيبه ولا يفتره لأنك أن شربت الخمر ومهما كنت على درجة كبيرة من العلم فإن عقلك يتحول ليكون مثل عقل أي انسان لم يتعلم مطلقا، فالإسلام يريد أن يحتفظ عقلك قويًا مفكرًا ومجددًا، كيف تقول أنك لا تستطيع أن تدخل الإسلام وأنت أستاذ جامعي لأنه لا يسمح لك أن تشرب الخمر؟!، بل يجب أن تقول الإسلام عظيم لأنه لم يسمح بتغييب العقول.

الرجل فوجئ وقال أنه وبهذا المنطق سيدرس الإسلام أكثر ويدخل فيه أن وجده كما ذكرنا له، والإخوة الذين كانوا معي أعطوه مصحفًا مترجمًا ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الرومانية، وكتاب تعريف عن الإسلام باللغة الرومانية.

وأنا سعدت جدًا بهذه الخطوة من هؤلاء الشباب، لأنهم كانوا طلاب في كلية الطب وليسوا في علوم شرعية أو شيوخ، لكنهم يحملون دائما مثل هذه المصاحف والكتب للتعريف بالإسلام وصدق الله: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصافات:٦١]

د. راغب :

الموضوع ثري وجميل، وأعود مرة أخرى ولن أيأس، لإيصال كلمة الحق إلى حكام العالم الإسلامي.

لأنني أشعر أن إمكانيات العالم الإسلامي ليست قليلة، بل أشعر أن إمكانياتنا كثيرة وأكثر من احتياجاتنا بكثير، فالله سبحانه وتعالى أعطانا الكثير له المنة والفضل سبحانه وتعالى.

هناك من يقول أننا فقراء ولذلك لا يوجد ما ننفقه على العلم، وهنا أقول لا تنظر إلى الكم الذي يُنفق الآن بل انظر إلى النسبة.

فالعالم الآن بدأ يضع أرقامًا على نسب الإنفاق على العلم في الدول المختلفة في العالم، فظهر تقرير الأمم المتحدة يقول أن دول العالم العربي وتبين أن:

مصر تنفق ٠,٢% من دخلها على العلم

وتونس ٠,٣%

والإمارات كانت أكثر دولة عربية تنفق على العلم حوالي ٠,٦% على العلم من دخلها القومي.

الكيان الصهيوني في فلسطين، المسمى بإسرائيل، نجد أنهم ينفقون ٤,٧% من دخلهم القومي على العلم.

وهذا يعكس مدى اهتمام الأنظمة بجانب العلم، ونسبة الـ ٤,٧% من الدخل القومي هي رقم ضخم جدًا وهذه كانت أعلى نسبة في العالم، ويوضح أن الكيان الصهيوني كيف يضع لقضايا العلم أعلى نسبة في العالم في الإنفاق العلمي.

وأمريكا تنفق ٢,٣% من دخلها القومي على العلم.

وقد يقول قائل أننا لا ننفق على العلم لأنه يتم إنفاقه على الطعام والشراب، لكن نقول لهذا أنه في الإنفاق على الجوانب الأمنية الداخلية للبلاد، ظهر أن مصر من أعلى الدول في العالم كله!

أما عن اللهو والسلع أو ما يسمى بالسلع الاستفزازية، تجد أن مصر تستورد حوالي ٢ مليون جنيه كل سنة بل أكثر بكثير فقط على أغذية القطط والكلاب وهذا رقم ضخم جدًا.

أذكر عندما حدث مقاطعة لدولة الدنمارك على ما تم نشره من كاريكاتير، ففي السعودية على سبيل المثال كانت الدنمارك تخسر في اليوم الواحد مليون دولار على الجبن الدنماركية، كان أمر جيد أن نهتم ونستجيب للمقاطعة لكن انتبهنا أننا ننفق على الجبن فقط مليون دولار في يوم واحد وفي دولة واحدة!

بل والأكثر من ذلك كنا نستورد الجبن من هولندا، فهذا أمر استفزازي جدًا

نحتاج أن نقف وقفة قوية، فالأموال لدينا كثيرة لكنها لا توجه إلى الجانب العلمي بل توجه إلى اسلع الترفيهية أو الاستيراد ولهو أمنيات، نحن فلا تنقصنا الأموال.

د. صلاح:

قال فضيلة الشيخ الشعراوي رحمه الله: "من لم يكن طعامه من فأسه فلن يكون قراره من رأسه".

وهذا منطق هام جدًا، هناك ثلاث دول عربية تستطيع أن تُغني الأمة الإسلامية كلها قاطبة، وهي مصر والسودان والعراق، فهذه البلاد التي يسير فيها النيل ودجلة والفرات قالت دراسات علمية بأنه توظيف هذا الماء في تعمير الصحراء والزراعة لأنعشت كل الأمة الإسلامية قاطبة، من أولها إلى آخرها.

والسعودية مع كل ما فيها من صحراء شاسعة عندما أرادت أن تكتفي بقمح إسلامي داخلها اكتفت وصدرت، لكن يؤسفني أن هذا المشروع توقف وعادت تستورد القمح الذي يأتي من الغرب.

أنا لا أستطيع أن أفصل بين الإرادة السياسية الحرة وبين ما تستطيع الدولة أن تنتجه بداخلها.

ثلاثة أرباع أنواع الخبز الذي يأكله المصريين يأتي لهم من أمريكا وكندا، وتجد وزراء يقولوها بكل فخر أن بلادهم تستورد ٨٥% من أغذيتهم، وهذا عار وهي بلاد زراعية وبها كل الخيرات!

عندما نتكلم عن صناعة العلماء فنحن نتكلم عن نهضة شاملة في كل نواحي الحياة، بل نريد علماء في العلوم الغذائية يفكرون في إنتاج أغذية يستطعمها المسلمون ويتركون هذه الأطعمة الغربية الملوثة بدعم الكيان الصهيوني أو ملوثة بسب الرسول صلى الله عليه وسلم أو ملوثة بالفجور وغيره.

د. راغب:

دولة مثل كوريا الشمالية تعيش على أكل الطحالب فلديهم فقر شديد جدا لكنها الآن تُصنِع السلاح النووي وعلماؤها استطاعوا أن ينافسوا العالم في هذا المجال وتصدره بطرق غير شرعية بسبب وجود التضييق العالمي عليها.

لكن أقول لا دولة معذورة في هذا الجانب، لا عذر لدولة أن تكون مُتخلفة مهما، لا عذر لدولة لا تنفق على أبواب العلم مهما كان عليها من تضييق وحصار.

الحكام لن نعفيهم من المسؤولية في هذه القضية والوزراء لا نعفيها من هذه القضية، وكذلك الأغنياء وطلاب العلم الذين يجب أن يدخلوا بكل ثقلهم في هذا المجال.